القضايا الأخلاقية في الفلسفة الأفلاطونية

د . فرات أمين مجيد مركز ابحاث الطفولة والامومة/جامعة ديالى

المقدمة :

تعد مشكلة الاخلاق من المشاكل الرئيسية في الفلسفة فقد حظيت باهتمام الكثير من الفلاسفة وشغلت حيزا كبيرا من كتاباتهم وفلسفاتهم كما حظيت باهتمام أفلاطون وشغلت تفكيره واحتلت حيزا كبيرا من فلسفته فقد اولاها افلاطون جل اهتمامه وتفكيره كما اخضع اغلب فلسفته للاخلاق .

لذلك كان هدف البحث تسليط الضوء على فلسفة أفلاطون بصورة موجزة واعطاء تعريفات للقيم الأخلاقية بغية الدخول الى القضايا الأخلاقية الأفلاطونية موضوع البحث ، فأفلاطون أخلاقي في كل كتاباته ، فمهما كانت الفكرة التي يتناولها ، سواء كانت طبيعية ، او سياسية او فنية فهدفه الأول أخلاقي كما ان الهدف العام لفلسفة أفلاطون هو بناء مدينة فاضلة يدير شؤونها الفلاسفة ويسودها القانون وتتوفر فيها الحكمة والخير والنظام والعدل الامر الذي يعكس اهمية البحث كونه يناقش موضوع على قدر كبير من الاهمية الا وهو الاخلاق وفيلسوفاً ذا مكانة اكبر في تاريخ الفكر الفلسفي .

حياة أفلاطون :

ولد افلاطون نحو (٤٢٧ – ٣٤٧ ق م) بأثينا وعاش بها معظم سنوات حياته التي تجاوزت الثمانين ولم يغادرها الا لفترات بلغت في مجموعها نحوا من ستة سنوات ، قضى منها ثلاث سنوات في فيغارا بعد موت استاذه سقراط حيث نزل في ضيافة اقليدس الميغاري وهو اكبر تلاميذ سقراط سنا وكان قد افتتح ما يشبه المدرسة وتجمع السقراطيون حوله ، ثم غادرهم افلاطون مطوفا في البلاد ، ثم رحل الى سراقوصة وقد اعتلى عرشها الملك ديونيسيوس الكبير ، وكان من اهل الفكر ، الا انه كان طاغيا مستبدا وكان له صهر يقال له ديون ربطت الصداقة بينه وبين افلاطون ، وكان افلاطون يطرق ابواب الملوك لعله يجد اذنا صاغية لافكاره في الحكومة العادلة ، ويبدو ان الوشاة اوقعوا بين الملك وصهره فنقم عليه وتدخل افلاطون فاستوجب عليه الغضب ، ونفى الملك صهره ديون وطلب افلاطون الاذن بالرحيل ، وشك الملك في امره واخلاصه فأرسله الى اناس باعوه رفيقا في مدينة اجينا لولا ان افتداه احد معارفه وكادت السياسة تورد افلاطون حتفه ولعله ورث الاهتمام بالسياسة من اسرته العريقة ، وكانت اسرة ارستقراطية راهنت على الحزب الارستقراطي فلما ال اليه الحكم وبغى واستبد بالشعب ساءت علاقاتهم بالحكومة الديمقراطية التي تولت بعده ، ونال افلاطون بعض الاذى ، ثم كل الاذى عندما قضت بإعدام معلمة سقراط ، ومن ثم اتجه تفكير افلاطون الى الشروط التي ينبغي توفرها لاقامة حكومة عادلة [١] .

وتجمعت تلك الشروط في شكل نظرية تجعل قيامها ممكنا ، وذلك بتوجيه التعليم الوجهة التي تعهد لها ، بتربية الافراد ، التربية الاجتماعية والسياسية والعسكرية والعلمية التي تجعل منهم مواطنين صالحين في الحكومة العادلة واضطر افلاطون ان ينشأ مدرسته الشهيرة لهذا السبب ومن اجل ذلك توجه الى سراقوصة مرتين بعد المرة الاولى ، في عهد ديونيسيوس الاصغر الذي خلف اباه ، وكان قد ارسل يستدعي كبار الشعراء والمفكرين الى بلاطه وابدى اهتماما بتطبيق نظريته في الدولة ولكن حاشيته عادة تؤلب الابن على ديون كما كان شئنها مع

ابيه ونفى الملك ديون ورفض السماح لافلاطون بالرحيل واستبقاه رهينة مدة ستة اشهر ثم عاد الى دعوته وقبول وساطته بشأن ديون الا ان الامور استفحلت واضطر افلاطون الى الرحيل الى الابد ، ويبدو ان ديون لطول اضطهاده واتهامه بالتآمر قد عمل اخر الامر على قلب نظام الحكم وغزو المدينة وطرد الملك وتولى هو العرش ، وكانت لطمة قاسية لافلاطون ان يعلم بكل ذلك ، واستمر ديون في الحكم مدة اربعة اعوام ثم اغتيل وكانت اللطمة الثانية لافلوطون ان يعلم ان القاتل من تلاميذه ومن ثم انصرف عن التأثير في الملوك بغية اقامة الحكومة العادلة الى التعليم والتربية لعله ينشئ جيلا يكون في مقدوره تحقيق ما يصبو اليه واولى مدرسته التي كان قد افتتحها نحو ٣٧٠ ق . م كل رعايته وكانت المدرسة تطل على بستان البطل اكاديموس ، وسميت لذلك الاكاديمية ، وتبرع لها بالارض والابنية واختلف اليها المريدون في شكل جمعية من الاصدقاء كانوا قليلي العدد وقيل ان افلاطون لم يكن يتقاضاهم اجرا وكان يحصل على مقابل من غير الاثينيين ، وانضمّ الى الاكاديمية ارسطو في السابعة عشر من عمره وظل بها نحوا من عشرين سنة وكان ذلك بعد افتتاحها بأربع سنوات ، وكانت الدراسة تمتد لعشرين سنة او لمدى الحياة وتفرغ لها افلاطون ولم يتزوج وظل يدرس بها اربعين سنة حتى وافته المنية فخلفه عليها سبيوسيبوس ابن اخيه [٢] .

مؤلفاته :

تنقسم مؤلفات افلاطون بحسب ترتيب مراحل عمره ، فهنالك مؤلفات الشباب وكلها سقراطية ، لواء البطولة فيها معقود لسقراط وتقوم على الحوار الدارمي وتصوير الشخصيات تصويرا واضحا وتتوسل بالتهكم وبالقصة الرمزية ورغم ان صورة سقراط افلاطونية خالصة وتبلغ حد الاعجاز في العمق والابداع الفني الا انها مع ذلك مصدر من اهم مصادر سيرة سقراط الحقيقي ويبلغ عددها ثلاث عشر محـاورة هـي (ليسين) و (لاخيس) و (يوثيفرو) و (خارميدس) و (هيبياس الاكبر) و (هيبياس الاصغر) و (أيون) و (بروتاغوراس) و (يوثيموس) و (غورغياس) و (مينو) و (القبيادس) و (ثراسيماخوس) وهو الجزء الاول من كتاب الجمهورية ، وحوارها جدلي استفهامي يستدرج به سقراط المتحدث وهو في العادة احد السوفسطائية وينتقل به من اقواله الى اقوال تلزم عنها وتتناقض حكمها ولا يملك المتحدث الا ان يسلم بالخاتمة والاقرار بالجهل . وكان بروناغوراس اول من ادخل هذا الحوار في اثينا وعلم شبابها منهاجه وربما كان هو نفسه مخترعه ، ولكن السوفسطائين استخدموه للتدريب على فن النقاش والمعارضة بقصد الانتصار على الخصم واظهار البراعة والبلاغة ولذلك كان الحوار جدليا ، اما افلاطون فقد استخدمه لجلاء معاني العبارات واختار اتساقها مع نفسها وغيرها بهدف بلوغ الحقيقة ولذلك اسماه حوارا جدليا وليس جداليا ، لانه يقوم على مناقشة الفروض ونقائضها ويتدرج بها من الاحساس الى الظن الى العلم الاستدلالي الى التعقل المحض ، او قد يتدرج بها من المركب الى البسيط ومن العارض الى الجوهري حتى يتعين المعنى ويتحدد التعريف [٣] .

تنتمي محاور طيماوس وفيدون وبقية كتاب الجمهورية ومحاورة المأدبة او النادي ومحاورة فيليسبوس وفيدروس وفرينياس وكتاب القوانين الى المرحلة المتوسطة من عمر افلاطون وفي هذه المرحلة يكف افلاطون من اللجوء الى اسلوب المحاورة ويتسم اسلوبه بالجفاف ويفقد حوية الدراما ولم يعد يهتم بدحض اقوال الخصم بالحجة الدامغة وابتعد عن اسلوب بروتاغوراس الداحض وفي هذه المرحلة كان افلاطون مدرسا بالاكاديمية ولم يكن من رأيه تدريس الجدل للشباب حتى سن الثلاثين ولذلك فقد توقف عن التأليف بهذه الطريقة ، اما مؤلفات المرحلة الثالثة فقد عالجت قضايا متخصصة في المنطق والمنهج والمعاني والوجود وتلك المواضيع كانت قد اثيرت في الاكاديمية وفيها يرتفع الخطر عن استخدام الجدل وتدريسه لطلبتها وتنتمي محاورة السوفسطائية وبارمنيدس لهذه الفترة والتي تسمى مرحلة الشيخوخة ، ومن الجدير بالذكر ان اشهر ما يمكن تناوله من افلاطون نظريته في المثل وهو يبدأ بطرحها

في ايجاز في محاورة المأدبة ويناقشها بإسهاب في محاورة فيدون ويستغلها في كتاب الجمهورية ويدافع عنها في محاورة طيماوس اما مصادر المعرفة فيرجعها افلاطون الى اربعة مصادر اولها الاحساس والمعرفة الحسية نسبية وجزئية ومتغيرة وثانيها الحكم وهو ظني وتخميني والمعرفة الظنية قد تكون صادقة او كاذبة وثالثها الاستدلال وهو علم يستخدم الصور المحسوسة لكنه ليس كموضوع له بل بصفتها وسيلة لبلوغ المعاني الكلية المقابلة التي يتخذها موضوعه ومجاله علوم الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ورابعها التعقل وهو ادراك الماهيات الخالصة والاخلاق في المحاورات يدور حول معان كلية كالعدالة والفضيلة والمعاني الكلية معان ثابتة لا تتغير ، ابدية لا تتعلق بظواهر مؤقتة واحدة فمن بين الكثرة والتنوع في الافعال والمواقف والاشخاص هناك عدل واحد فقط يجمع بين كل الافعال والمواقف العادلة وانسان واحد فقط يجمع بين كل احاد الناس وسقراط حكيم جملة تمثل فيها كلمة شخصا متعينا نعرفه وهذا الفيلسوف الذي توفي نحو ٣٩٩ ق.م . وكان ربعه معقوف الانف لكن كلمة حكيم تمثل صفة قد يمتلكها شخص او لا يمتلكها والحكمة او ما تمثله كلمة حكيم شيء ابدي غير مؤقت شارك في صنع سقراط وكان سقراط نموذجا مؤقتا له ومن ثم فهو موجود في كل شخص ، يتصف بالحكمة لكنه منفصل عن هؤلاء الاشخاص جميعا غير متعلق بمادة مفارق لكل الاجسام فهو ماهية او صورة او مثال الحكمة وهو يجب ان يوجد والا ما كنا نستطيع ان نصف أي شخص بالحكمة لكنه ليس موجود في هذا العالم فالذي يوجد في عالم المحسوسات محسوسات والمثال غير محسوس وعالمه غير مرئي لكنه عالم مفهوم لا يدركه الا العقل والمثال هو الشيء الواحد في ذاته كامل وخالد والعلم بالمثل هو الفلسفة لانه العلم بالثابت والفلاسفة بهذا العلم وخاصة بعلمهم بمثال او صورة الخير اقدر الناس على حكم العالم توجيهه نحو الخير فالذي يعرف حتى وان كانت معرفته ظنية افضل من الذي لا يعرف والحكومة التي ينهض عليها فلاسفة يعرفون ستكون هي الحكومة الفاضلة وهي الحكومة التي يتم فرز الافراد فيها طبقا لذكائهم وتناط بهم الاعمال طبقا لقدراتهم ولا يسأل فيها الفلاسفة عن تصرفاتهم طالما انهم وحدهم المطلعون على عالم المثل ومعرفتهم يتناقلونها فيما بينهم ، بينما تقتصر معرفة العامة على المعرفة الحسية ومعرفة الطبقة التي تليها على المعرفة الظنية [٤] .

وقد قسم افلاطون الافراد او الشعب في الجمهورية الى طبقات ثلاث هي الجند والشعب والحكام وهم يتلقون جميعا تربية واحدة حتى الثامنة عشر ثم يميز من بينهم اصحاب الاجسام القوية والاستعداد الحربي يزاولوا التمرينات العسكرية والرياضية البدنية فإذا ما بلغوا العشرين يميز الاذكى منهم لدراسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ومهمة الحراس الادارة والدفاع وهم ذكور واناث يعيشون ويأكلون معا ولا يحتاجون الذهب والفضة ويحضر عليهم التملك ولا تكون لهم اسرة والزواج على المشاع والاطفال ملك الدولة ، اما الانتاج فهو عمل المزارعين والتجار والصناع وهم يتملكون ولهم اسرهم ولكن الملكية محدودة وتفرض عليهم الضرائب حتى تضل الفوارق الاجتماعية واذا ما بلغ الحراس الثلاثين تميز من بينهم محبو الحق والشرف وضعاف الشهوة ويدرسوا الفلسفة ويتمرسوا بالادارة فإذا بلغوا الخمسين يرقى افضلهم الى مرتبة الحراس الكاملين وهم الفلاسفة الذين يتفوقون بالنظر العقلي ولهم القدرة على تصور القوانين العادلة تصورا علميا ويتناوبون الحكم فيما بينهم ولقد راجع افلاطون صورة مدينته الفاضلة في كتاب القوانين وجاءت القوانين تعديلا وتنقيحا لكتاب الجمهورية فالصفوة يمكن تقتني وتمتلك وتكون لها اسرها والطبقات الدنيا لها بعض النفوذ السياسي وتمارس بعض الحقوق وان كان ذلك لا يرقى بها الى حد بلوغ سدة الحكم ولم يعد مطلوبا من الحكام ان يكون فلاسفة ولا النساء ان يكن من الحراس ويبدو انه وضع كتاب القوانين مراعاة لطاقات البشر ومقتضيات الحياة ولكي يهتدي بها ديونيسيوس الاصغر وهو يضع دولته الجديدة في مدينة سراقوصة وكان تقسيم المدية الى طبقات ثلاث هي الناطقة والغضبية والشهوية وتتألف الطبقات الثلاث من وحدة تشبه وحدة النفس . ويعتقد افلاطون ان النفس بسيطة وثابتة وانها توجد من قبل الولادة وتبقى بعد الموت وهي روحية ولا يتحقق خلاصها من المادة الا في عالم روحي

والفضائل ثلاث تقابل قوى النفس الثلاث فالحكمة فضيلة العقل والشجاعة فضيلة الغضب والعفة فضيلة الشهوة وبها يتحقق في النفس التوازن ، والتوازن عدالة والعدالة ليست فضيلة بل هي حالة الصلاح المترتبة على التوازن الذي يحدثه اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة في الفرد والانسان الصالح هو الانسان العادل بهذا المعنى وينعكس صلاحه او عدله على الاخرين في تعامله معهم وبالعدالة تتحصل السعادة ولقد عرف الاسلاميون افلاطون ولقبوه بالفيلسوف الالهي وكان ممن تاثروا به مدرسة الفيلسوف الرازي ومدرسة المعتزلة ومدرسة الفقهاء الظاهرية والمفكرين السلفيين من الحنابلة وابن تيمية وابن القيم والصوفية وعرفة نظريات افلاطون في الحب طريقها الى كتابي الزهرة لابن داود وطوق اليمامة لابن حزم الاندلسي .

خلاصة القول يمكن اجمال مؤلفات افلاطون بالنقاط التالية :

١- مؤلفات في المحاورات الجدلية وتبحث فيما وراء الطبيعة وهي ثيتس (في العلم) وقراطيليس (في اللغة) والسفسطة(في الوجود) وبرمنيدس (في المثل والتصورات) وتيماس (في الطبيعة) وفيدون (في خاود النفس) .

٢- مؤلفات أخلاقية واهمها : مينون (في الفضيلة) وبرتغوراس (في السوفسطائية) واتفرون (في علاقة الدين بالاختلاف) .

٣- مؤلفات سياسية : وهي الجمهورية ، والسياسي والقوانين .

ومن الجدير بالملاحظة ان فلسفة افلاطون بأنها محاولة ناجحة للتوفيق بين اراء الفلاسفة الذين تقدموه ويؤمن افلاطون بان السياسية هي تطبيق عملي للاخلاق ، بمعنى ان الغرض منها الوصول بالناس الى الفضيلة والسعادة ، فعندما كتب افلاطون في شبابه كتاب الجمهورية كان يؤمن بحكومة الفلاسفة وبالحكم المطلق المستنير ، فالحكم عنده لا يكون الا لقلة من العلماء المستنيرين وان من الحماقة في رأيه ان تحدد يد الحاكم الفيلسوف بأحكام القوانين ، هذا الحاكم الفيلسوف او هذا العالم المستنير يقوم سنده في تولي السلطة على اساس انه الوحيد الذي يعرف طريق الخير والعدالة ، كما استبعد افلاطون من دولته المثالية التي صورها في كتابه الجمهورية ، فكرة القانون ، وابرز الدولة كمؤسسة تفرض على المواطنين وصاية دائمة يتولاها الحاكم الفيلسوف ، هذه الوصاية في نظره هي اسلم صور الحكم ، اذ الحكم عنده للعلم والمعرفة ولا حاجة فيه للقانون ، ولما كانت هذه الدولة المثالية التي اشار اليها افلاطون في كتابه الجمهورية من الكمال بحيث لا تتلائم مع احوال البشر لذلك كانت نموذجا مقره السماء ويحاول البشر ان يحاكوه ولكنهم لا يستطيعون ان يبلغوه ، ولما كان البشر لا يعيشون في السماء بل على الارض ، فقد عدل افلاطون من رأيه ، بعد ان تقدم في السن وانضجته التجارب وقبل حلا وسطا في كتابه الثاني (السياسي) كما ادرك افلاطون ان هناك فرقا بين الخضوع لسلطة القانون والخضوع لادارة مخلوق من البشر مهما انفرد بالحكمة والخير ، ولم ير بدا من المناداة بمبدأ سيادة القانون وان يقرر ان القانون وحده هو الذي يسود الحاكم والمحكوم [٦] .

ان افلاطون كان يسعى لذلك العالم القديم الذي كانت تحيى فيه ارستقراطية فكرية ، من اجل الفكر والتأمل فقط وان كانت شديدة القلق من جراء تلك القلاقل التي كانت تهدد امنها وثقافتها ومن هنا تبين لماذا كان افلاطون مثاليا تارة وسياسيا تارة اخرى ، تشغل باله الاتجاهات اللانظامية والاغلالية التي كانت تظهر في الدولة اليونانية ، قال عن الديمقراطية المزعومة التي دخلت على اثينا في عهده ولم يمض عليها سوى القليل ، ظنت ان النظام الجديد سوف يضع حكم العدل مكان حكم الظلم وكرست له كل انتباهي لارى ماذا سيفعل ، فرأيت هؤلاء السادة في وقت قصير جدا وقد جعلوا الديمقراطية التي حطموها تبدو وكأنها العهد الذهبي لاغراضهم الشخصية ، وعندما رأيت هذه الاشياء واخرى كثيرة غيرها شعرت باشمئزاز عميق وتخليت كلية عن هذا الحكم المؤسف ، من الملاحظ ان فلسفة افلاطون لا يمكن فصلها عن موقفه السياسي ، فلا شك ان كليهما يعكس ازمة المدينة – الدولة في بلاد الاغريق كما كانت تتمثل في اضمحلال اثينا ، لقد زالت ايام المجد عندما انهزمت دولة الفرس وقد شعر

افلاطون انه يعيش في خاتمة مرحلة من مراحل النمو ، ففي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد كشفت اثينا عن عجزها عن الاحتفاظ بديمقراطية الطبقات الوسطى ، التي كانت قد أنشأتها وعن تدعيمها ، كان فشل اثينا هذا بمثابة اخفاق النظام العبودي ففي هذا النظام ظل مستوى الصناعة الفنية في مستوزى منحط مادام الاهتمام بالاختراعات الميكانيكية كان يعتبر امرا لا يليق بالعقل الانساني، ومن ناحية اخرى ، كانت المدينة – الدولة – تضاعف من ثرائها بواسطة التوسع والاستغلال الاستعماريين الذين كانا يوفران اعدادا جديدة من العبيد ، هكذا استمر الوضع الطبقي للمجتمع اليوناني وإن بدا عدد كبير من الاغريق يتطلعون الى نظام اوسع واكثر ديمقراطية كما يتجلى ذلك بقيام حركة واسعة ضد العبودية ، خلاصة القول هو ان من المفيد حقا ان ترى اي نوع من النظم السياسية كان يطالب بها مفكر مثالي من طراز افلاطون نرى اولا ان شيوعية افلاطون مقصورة على اقلية ضئيلة من الارستقراطيين الذين بعد اعفائهم من العمل اليدوي يعيشون في تقشف ويحكمون الدولة وقد وفر له الغذاء والكساء والمسكن بواسطة عمل طبقة محتقرة من الكادحين وثانيا ، المجتمع في مجموعه ينقسم الى طبقات بشكل جامد والعدل يكتسب مضمونا جديدا وهو ان كل انسان ينصرف الى شؤونه ويقوم بواجباته في مركزه الذي تفضل الالهة اسناده اليه ، فهذا هو العدل ولتكتف كل طبقة اجتماعية بإنجاز متقنا وليحذر الناس انتحال دور ليسوا معدين له ، وثالثا دع الطبقة الحاكمة المختارة تصبح طبقة من الفلاسفة ، ما دام الفلاسفة هم وحدهم الذين يحق لهم ان يحكموا ، وبما انه من المحال ان تصبح الكثرة من الفلاسفة ، فإن الجماهير لن يكون لها شأن بالقوانين ، اللهم الا الرضوخ لها [٧] .

معنى الأخلاق :

للاخلاق وجهان : نظري وعملي ، الاول يضع المبادئ والنظريات التي يستند اليها السلوك الانساني ، والثاني يبحث في التطبيقات العملية لهذا السلوك داخل كيان عيني محدد ، ومن هنا كانت قيم الاخلاق النظرية عامة بينما قيم الاخلاق العملية خاصة جزئية ، والاخلاق جمع خلق ولكنها تستعمل للدلالة على علم معين ويناظرها في اللغات الاوربية كلمة Morale بالفرنسية و Morals بالانجليزية و Moral بالالمانية و Morale بالايطالية وهذه الكلمة الاوربية مأخوذة من الكلمة اللاتينية Mores جمع Mos .

اما في اللغة العربية فنجد الكلمتين الاخلاق والادب وان كانت الكلمة الثانية قد استعملت خصوصا للدلالة على الحكم القصار والجمل التي تحث او تعبر عن المعاني الخلقية كما هو واضح في كتاب (صوان الحكمة) لابي سليمان المنطقي السجستاني و (اداب الفلاسفة) لحنين بن اسحق و (مختار الحكم و محاسن الكلم) للمبشر بن فاتك وامثالها من الكتب العديدة التي تتناول تواريخ الحكماء اليونانيين في اللغة العربية والكلمة تستعمل في الغالب بصيغة الجمع ، كما في هذه الكتب ، لكنها تستعمل احيانا في صيغة المفرد ، كما في عنوانات الكتب التالية (ادب الدنيا والدين) للماوردي (والادب الكبير) و (الادب الصغير) لابن المقفع ، اما من حيث تعريف الاخلاق فأننا نجد معجم لالاند يعرفها بثلاث تعريفات ، الاول مجموع قواعد السلوك مأخوذة من حيث هي غير مشروطة ، وثانيا السلوك المطابق للاخلاق ، مثلا حين نتحدث عن تقدم الاخلاق ، وثالثا نظرية عقلية في الخير والشر وبهذا المعنى تتضمن الكلمة ان النظرية تنحو نحو نتائج معيارية [٨] اي ان معنى كلمة الاخلاق في اللغات الاوربية والتي اشتقت من اللاتينية ذات معنيين ينحدر كلاهما من اصول يونانية ونعبر عن الاولى في العربية بالاخلاق جمع خلق وقد نعبر عن الثانية بالاداب ، كما نقول مثلا الاداب المرئية في مجتمع ما ومفردها ادب ، والاخلاق هي علم قواعد السلوك ومن ثم كان قيام هذا العلم بعد تشكيل قواعد السلوك وكان تقسيم البعض للاخلاق الى نظرية وعملية والاولى علم معياري ، والثانية هي تطبيقاته التي تسمى اداب السلوك وتتفرع عن الاولى مذاهب ونظريات منها الوضعي والروحي ، والتطوري واللاهوتي ، والرواقي والايبقوري ، والمادي والمثالي ، غير انها جميعا تلتقي في

نتائجها العملية ، اي في الاداب السلوكية التي تنتهي اليها ، بيد ان كل النظريات الاخلاقية مهما تنوعت واختلفت فإنها تستمد صدقها في اخر الامر من التجربة الاخلاقية وهي واقعة مباشرة تعيش المبادئ الخلقية وتتميز فيها التجربة اليومية العدية عن التجربة الوجدانية ، والتجربة الفردية عن التجربة الجماعية ، وتتميز اخلاق الشكل او الصورة عن اخلاق الموضوع ، فالاولى مجالها القيم الاخلاقية للافعال والاشخاص بينما تربط الثانية قيمة الفعل او الشخص بنتائجه العملية [٩] .

الضمير :

هو من المعاني الرئيسية في الاخلاق ، والضمير بالمعنى اللغوي في العربية السر داخل الخاطر والجمع ضمائر ، والضمير الشيء الذي تضمره مع قلبك اضمرت صرف الحرف اذا كان متحركا فأسكنته ، واضمرت في نفسي شيئا ، والاسم الضمير والجمع الضمائر واضمرت الشيء اخفيته ، وهوى مضمر وضمر مخفي ، والضمير في النحو ما كني عن متكلم او مخاطب او غائب [١٠] ولم يعثر على استعمال كلمة ضمير بمعنى الشعور المميز بين الخير والشر ، في كتب اللغة ولا في كتب الادب ولا في كتب الفلاسفة المسلمين ، بل استعمال هؤلاء لكلمة ضمير هو دائما بالمعنى اللغوي العادي : اي السر داخل الخاطر وما هو مضمر في النفس اما المعنى الاخلاقي اي ملكة التمييز بين الخير والشر فهو موجود في اللاتينية وفي اللغات الاوربية الحديثة ، اما المعنى الاصطلاحي للضمير فيعرفه معجم لالاند بأن الضمير الاخلاقي هو خاصية العقل في اصدار احكام معيارية تلقائية ومباشرة على القيمة الاخلاقية لبعض الافعال الفردية المعينة ، وحين يتعلق هذا الضمير بالافعال المقبلة ، فإنه يتخذ شكل صوت يأمر وينهى ، واذا تعلق بالافعال الماضية ، فإنه يترجم عن نفسه بمشاعر السرور والرضا او الالم او التأنيب ، وهذا الضمير يوصف ، تبعا للاحوال المختلفة ، بوصف : الواضح الغامض ، المريب ، المخطئ الخ وقد اعترض احد اعضاء الجمعية الفرنسية للفلسفة ، وهم الذين راجعوا معجم لالاند ، على استعمال كلمة (صوت) لانه قد يؤذن بإشارة الى اللاهوت وذلك لانه يجعل من الضمير امرا مفروضا من الخارج على الادارة [١١] .

اما كيف يتكون الضمير ، ان لم يكن فطريا قبليا ، فقد اختلف الرأي في ذلك بين عدة نزاعات ، فهناك اراء النفسانيين على اختلاف مذاهبهم ، فعلم النفس العادي يقول ان تكوين الضمير راجع الى قوانين نفسانية او بيولوجية ، لقد كان الانسان في الاصل يعمل وفقا للذة ، لكنه سرعان ما تبين له بذكائه انه ليس من مصلحته اشباع اللذات ايا كانت فرب لذة عاجلة تقضي على الاستمتاع بلذة اكبر اجلة ، وشيئا فشيئا حدث نقل للقيمة ، وانفصلت اللذة عن الفعل الجالب لها واصبح هذا الفعل ذا قيمة في ذاته ، وثبتت العادة هذا الوضع في الفرد ورسخته الوراثة في النوع ، فكون بعض الافعال يفرض نفسه على الشعور ويبدو ملزما تفسره القوانين النفسانية او البيولوجية ووفقا لهذه النزعة يتكون الضمير بفعل تداعي المعاني ، والعادة والوراثة ، اما التحليل النفسي عند فرويد واتباعه فيزعم ان الضمير هو حاصل الضغوط الابوية على الطفل وهي ضغوط تتألف من اوامر و نواه وتحريمات ، منها يتكون ما سماه فرويد بإسم الانا الفوقاني ، وتكوينه يسبق تاريخنا تكوين الضمير الاخلاقي فهذا الاخير لا يبدأ في التكوين الا ابتداء من سن الثامنة عشر ، ويستمر تكوينه طول عهد المراهقة مارا بكثير من التغيرات ، والاكتساب النهائي للاستقلال الذاتي يتم عادة مع نهاية المراهقة ، اي مع اكتساب النضوج العقلي ، ومن هذه الناحية يؤذن بالانحلال النهائي للانا الفوقاني ، نظريا على الاقل ، اذ ان الانا الفوقاني لا يزول نهائيا .

واهم من اراء النفسانيين في هذا الباب واوسع تفصيلا اراء علماء الاجتماع من مدرسة دوركهايم خصوصا ، وخلاصة رأيهم ان الضمير حصيلة الاف الضغوط الاجتماعية على الفرد ، التربية في الاسرة وفي المدرسة ، القهر الرسمي الذي تمارسه المؤسسات والنظم الاجتماعية

، القهر المنتشر الذي يصدر من الاعراف والتقاليد والاحتذاء وسلطة البيئة والحضارة وكلها قوى تتضافر وتتحالف على تشكيل ضمير الفرد ، وما الضمير الا انعكاس الضمير الجماعي الذي ولد فيه الفرد وبه نشأ وتكون ، يقول دوركهايم حين يتكلم الضمير فالمجتمع كله يتكلم فينا ، فالضمير الجماعي هو الذي يفكر ويشعر ويريد ، وان كان لا يستطيع ان يريد او يشعر او يميل الا بواسطة الضمائر الفردية ، ذلك ان المجتمع حقيقة فوق الافراد التي يتألف منها وليس مجرد حاصل جمع لهؤلاء الافراد ، بل له خاصية ذاتية تعلو على حاصل جمع الافراد [١٢] .

لم تكن الاخلاق قبل عصر افلاطون واستاذه سقراط علما بامعنى المفهوم وانما كانت توجد انماط من الحكم على افواه الفلاسفة والمفكرين والشعراء ، كالحث على عمل الخير وترك الشر والتحقير من شأن الجسد وقد يتخلل ذلك الكثير من الاساطير والافكار الغريبة كأشعار هوميروس في قصيدته الإلياذة والاوديسا التي لم تخلو من افكار اخلاقية كالاحساس بعاطفتي الخير والشر والاشادة بالفضائل كالشجاعة والصبر والرحمة ، وكذلك الشاعر هزيود نرى افكاره مليئة بصور الحكمة والاشادة بالعدالة بالاضافة الى كثير من الافكار الاخلاقية ويعتبر ديوانه (الاعمال والايام) ملئ بالحكم التي تدور حول فكرة العدالة فمن ذلك قوله ان من يضر غيره يجلب الشر على نفسين او شخصين وهو يرى اذا كان الذي يربح الدعوى هو الاكثر اصلاحا فمن المضر ان يكون المرء صالحا كما يرى ان ساعة العقاب اتية لا محالة [١٣] .

كذلك الحكماء السبعة الذين كان هدفهم اصلاح الاخلاق وان اختلف في عددهم واسمائهم بالاضافة الى الافكار الاخلاقية التي نجدها عند الفلاسفة الطبيعيين الذين سبقوا سقراط حيث نجد تفكيرهم مطبوعا بالطابع الاخلاقي الى ابعد الحدود ، فعلى سبيل المثال يرى طالي سان كل شيء خاضع للضرورة اما انكسمندر يرى ان اصل الوجود نشأ من الانفصال او الابتعاد من حيث ان نوعا من النزاع قد نشأ في الوحدة الاولى ، فأصل الوجود عنده هو هذا العامل الاخلاقي اي النزاع اما انباذ وقليس فيجعل مبدأين رئيسيين من المبادئ الاخلاقية هما المحبة والكراهية ، المبدأين الذين يكونان الوجود فعن طريق المحبة تتكون الاشياء وعن طريق الكراهية تنفصل الاشياء [١٤] .

وكذلك هيراقليطس المشهور بقانون التغيير الذي يقول فيه انك لا تنزل النهر مرتين فإن مياهها جديدة تجري من حولك دائما ولعل من ابرز الحكماء الذين لهم شأن في التفكير الاخلاقي وكان لهم اثر على افلاطون هم الاورفيون والفيثاغوريون اما اورفيوس فهو شاعر من تراقيا وان الغموض يحيط بشخصيته مرة اله او نبي او شاعر او موسيقي يفتن بموسيقاه الكائنات من شتى الاصناف ولجماعة الاورفية رأي من اصل العالم وحقيقة الانسان اسطوري ومن مبادئهم الاخلاقية احترام الحياة والانتحار كفر برأيهم وهذا ما سيأخذ به سقراط في سجنه وهم يمجدون الضعيف المظلوم لانهم يؤمنون بان الحق معه ولا بد ان ينتصر في النهاية كما انهم يهتمون بالطهارة الباطنية رغم انهم يؤمنون بان الطقوس تحقق الاغراض الاخلاقية ومن الملاحظ ان للاورفية اثرا كبيرا على الشعراء والمفكرين ويمكن القول انها هي التي وجهت الفلسفة وجهتها العقلية الروحية على ايدي فيثاغورس وسقراط وافلاطون [١٥] .

ان اثر جماعة الاورفية على افلاطون فيرى في قول سقراط ان الموت هو انفصال الروح عن الجسد وهذا يدلنا على المذهب الاثيني عند افلاطون ، بين العقل والادراك الحسي بين الروح والجسم ، ان التفرقة بين العقل والمادة هي التفرقة التي عمت الفلسفة والعلم والفكر الشعبي وهي ترجع في اصلها الى الدين اذ بدأت تفرقه بين الروح والجسد ، فالاوروفي يعد نفسه ابن الارض والسماء ، فمن الارض جاء الجسد ومن السماء هبطت الروح وهذه هي النظرية التي يحاول افلاطون ان يعبر عنها بلغة الفلسفة [١٦] .

ان هذا المذهب الثنائي موجود عند الفيثاغوريين ايضا فهم يرون ان الجسد هو مصدر شفاء النفس واصل جميع الشرور ويبدو ان لفكرة التناسخ عند الاورفيين اثرا كبيرا في تقريب الاورفية من الفيثاغوريين فإن فيثاغورس (٥٨٢ – ٤٩٧ ق . م) اعتنق مذهب التناسخ الذي

سبقه اليه الاورفيون حيث تتفق الغاية التي يستهدفونها من التناسخ وهي تحريم النفس وانفصالها عن الجسد وبقائها بعد فنائه ، وتعتبر عقيدة التناسخ الفكرة الرئيسية التي تدور حولها التعاليم الفيثاغورية اذ ان فيثاغورس لم يكتف بالارشاد النظري بل الزم اتباعه اسلوبا خاصا بالحياة كالرياضة الروحية التي تقوم على تعاليم دينية واخلاقية معينة مع حياة التقشف والابتعاد عن حياة الترف فكان جميع الفيثاغوريين يعيشون معيشة زهد وبساطة ولا ينتعلون بل يمشون حفاة الاقدام وان سقراط كان من جملة اتباعهم فلا غرابة ان يسلك مسلكهم فكان يمشي حافي القدمين ، ورغم انه رفض بعض ارائهم مثل فكرة التناسخ ولكنه قبل بفكرة تطهير النفس ، لذلك ان اثر فيثاغورس واضح على سقراط وافلاطون في تطهير النفس فهما كانا يجمعان بين الزهد والسيرة الفاضلة وبين اكتساب العلوم الرياضية ، فقد كان افلاطون يكتب على باب مدرسته اي الاكاديمية (من لم يكن مهندسا فلا يدخل علينا) ولا عجب من هذا فإن فيثاغورس هو اول من جمع بين الزهد وممارسة العلم النظري والموسيقى لتصفية النفس ، فإنه رفع الموسيقى من المرتبة العملية الى العلم النظري واقامها على سلم يتميز بطول النغمات عددا ، وهكذا ارتفع بالتطهير من مجرد نزعة عملية الى مرتبة نظرية ، وهناك جماعة من الحكماء عاصرو سقراط وكان له معهم شأن كبير ، ظهروا في القرن الخامس قبل الميلاد وكانوا يتجولون في البلاد فيتعلمون الجدل ويفتخرون بأنهم يأتون الحجج للقول الواحد ونقيضه في آن واحد ، وكانوا يدعون انهم يعلمون الفضيلة ولكن مع هذا فنظرتهم للفضيلة ليست نظرة الفلاسفة الحكماء وانما يرون ان الفضيلة هي ما يجيده الانسان فالطبيب في مداواة المرضى والسياسي في الظفر بالخصوم والخطيب في اظهار حجته ، فهم اذن انكروا المبادئ الخلقية ، فليس هناك خير او شر او عدل او ظلم بالذات بل المهم ، حسب رأيهم – هو النجاح في الحياة مهما تكن الوسائل ، واساس المذهب السوفسطائي ان الاحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة ، ولما كنا نختلف في الاحساس والمشاعر والاشياء تتغير ، فكل ما يحسه الانسان هو حق بالنسبة له وهذا يقود الى السلوك الاخلاقي والحكم فيه فالانسان تبعا لهذا الرأي مقياس الخير والشر فما يمسه خير فهو خير وما يمسه شر فهو شر فيقول بروتاغوراس وهو احد السوفسطائين ان الانسان هو مقياس الاشياء جميعا ، فهو مقياس وجود ما يوجد منها ومقياس لا وجود ما لا يوجد منها ، ويرى افلاطون ان هذه العبارة اذا جمعناها مع رأي هيرقليطس في التغير المتصل نخرج بمعنى هو ان الاشياء هي بالنسبة اليّ على ما تبدو لي وهي بالنسبة لغيري على ما تبدو له فأنا انسان وهو انسان [١٧] .

تصدى سقراط للسوفسطائيين فجادلهم في اثبات حقائق الاشياء وابان لهم ان الحواس وان كانت تخدعهم في العرضيات فإن وراء الحواس عقلا يمتحن ما تنقله اليه امتحان ناقد بصير لا يخدعه الهرج الباطل ، وان هناك غير العرضيات التي تخدع الحواس ، حقائق كلية لا تختلف فيها العقول ، فإذا كان الحواس تختلف في لون الانسان او طوله او قصره فإن جميع العقول في جميع العقلاء لا تختلف في حقيقة الانسان الكلية وهي ان الانسان حيوان مفكر [١٨] .
من الجدير بالملاحظة ان السوفسطائيين اتجهوا في مجادلتهم الى الانسان وعليه يصدق القول عليهم وعلى سقراط الذي عاصرهم انهم انزلوا الفلسفة من السماء الى الارض ، فالقوانين الطبيعية هي ثابتة لا تتغير فالنار تحرق اينما كانت وفي اي وقت والشمس تشرق وتغيب في نظام ثابت لا يتغير ، بينما العادات البشرية مختلفة بين جماعة واخرى فالعبادات والسلوك الاخلاقي واختلاف نظم الزواج كلها ظواهر انسانية غير ثابتة فيجب دراستها فهي اجدر من الدراسة الطبيعية ذات القواعد الثابتة ، لهذا يمكن انهم ، أي سقراط والسوفسطائيين مهدوا لقيام علم الاخلاق وقد اخرجوا الثقافة من المدارس الفلسفية ونشروها بين الناس ومن اليسير ان نجمل الاختلاف بين سقراط والسوفسطائيين من حيث العقيدة الاخلاقية ، فبينما نجد سقراط يتخذ المنطق وسيلة في اثبات الحقيقة والوصول اليها ، يتخذ السوفسطائيين الخطابة وسيلة لهم ويهمهم ان يسيطر الانسان على خصمه بينما يهدف سقراط الى الوصول الى الحقيقة والنتيجة

التي يريد سقراط الوصول اليها هي ان يعرف الانسان نفسه بينما السوفسطائيين يهمهم ان يؤكد الانسان ذاته تأكيدا صارخا .

الاخلاق السقراطية :

يمكننا ان نتعبر سقراط (٤٦٩ – ٣٩٩ ق.م) مؤسس الفلسفة الاخلاقية ، لانه اول من اهتم بدراسة الانسان وجعل حياته لدراسة السلوك الانساني ولم يوجه عناية كأسلافه الى الابحاث الطبيعية والميثافيزيقية ،فالاخلاق المقام الاول عند سقراط لانها تبحث عن الماهيات والفضائل ، واعتبر سقراط القصد من الفلسفة ان يعرف الانسان نفسه ، لانه اذا عرف نفسه وانه عقل وجوهر روحاني فقد حصل على مفتاح العلوم كلها وان السبب الذي جعل سقراط يقتصر على الخلقيات انه اعتقد ان لا شيء اهم للانسان من تهذيب اخلاقه قبل الخوض في ما وراء ذلك [١٩] .

ويعتبر سقراط عند كثير من معاصريه انه يمثل الروح السوفسطائية بل ان افلاطون حين يحاول تعريف السوفسطائي يلاحظ الشبه الكبير بين السوفسطائي والفيلسوف الحقيقي ، وترى ارسطو ايضا يعتبر الميغاريين الذين امدوه بكثير من الانماط السوفسطائية ، سقراطيين ، ولكن ما تلبث ان تتضح لنا صورة سقراط خلال الكتابات العديدة والوثائق المختلفة التي تركت لنا وبالاخص من تلميذه افلاطون ويؤكد اميل بوترو احد علماء الاخلاق والسياسية الفرنسية ان سقراط مؤسس علم الاخلاق وذلك في كتابه (دراسات في التربية والاخلاق) اذ رأى ان ولادة علم الاخلاق في الايونان في اللحظة التي استولى فيها العقل على ازمة الحياة الانسانية وقد كانت من قبل بيد الدين ، وسقراط هو المؤسس الحقيقي لهذا العلم ، لقد كان الاول الذي ادرك هذه الفكرة وهي ان لعلم الاخلاق اساسا يتميز عن التقاليد الدينية وانه مع هذا لا يرتكز على العادات او الغرائز ، لقد رأى ان من الممكن ان نجد في الملاحظة اليقظة المنظمة للطبيعة الانسانية العناصر اللازمة لمذهب اخلاقي لا تعوزه الدقة ولا السمو ولا السلطان فالمسألة معرفة طبيعة الانسان لحقه ، ولهذا كان مذهب سقراط اول محاولة للاخلاق الحرة العقلية ، ان مؤرخي الفلسفة اليونانية يرون ان الخاصية الرئيسية التي تميز الفلسفة التي سبق سقراط هي ان البحث الفلسفي كان معنيا فيها بتفسير الوجود على اوجه اخص واما الاهتمام بالانسان وسلوكه فكان يشغل مكانا ثانويا عارضا ، فإذا اقبل النصف الثاني من القرن الخامس قبل ميلاد المسيح اثار السوفسطائية اهتمام الناس بالجدل في مذاهب الفلسفة المعروفة وزعزعة المبادئ الاخلاقية والاجتماعية وتصدى لمغالطتهم سقراط وعن طريق تعاليمه اخذت الفلسفة الخلقية تشغل في التفكير اليوناني المكان البارز الذي لم تفتقده بعد ذلك ابدا ومن اجل هذا قيل ان سقراط كان نقطة البدء الرئيسية التي صدرت عنها اتجاهات الفلسفة الخلقية اليونانية التي جاءت بعده وكان بهذا منشئ علم الاخلاق بمعناه الصحيح لقد شغلت الاخلاق تفكير سقراط اكثر من الطبيعة ، بل انه اتجه اتجاها كليا الى الانسان يدرسه ويسبر اغواره بطريقته الجدلية مستخلصا من وراء طريقته هذه ان يرشد الناس الى طريق الفضيلة بإعتبار ان اهم ما يهم الانسان في حياته هي الاخلاق التي هي بكونها تدور على ماهية الانسان ومع هذا ترى ان الفلسفة اثرت في علم الطبيعة حيث انه آمن بوجود عقل الهي يوجه الكون الى غاية مرسومة تحقق الخير والكمال لذلك يذكر ارسطو ان سقراط وافلاطون يقولان ان الله هو الواحد البسيط الذي لا علة له الذي هو واحد ، عدل ، الذي وحده على الحقيقة موجود وهذه الاسماء كلها تنتهي الى العقل فهو عقل مفارق للصور وغير مخالط للعناصر ولا مشارك شيئا ولا هو مما يقبل التأثير [٢١] .

وكما ان للكون عقلا فإن للانسان نفسا وكما ان الله يهيمن على الكون كذلك النفس تسيطر على الجسم وتوجه نحو الخير وكما ان الله قادر على تسيير الكون فهو اذن حال في كل مكان كذلك النفس تحل في كل اجزاء الجسم وكما ان الله غير محسوس ولا مرئي كذلك النفس غير مادية ولا محسوسة ولا ظاهرة ولذا اكد سقراط ان الانسان روح وعقل يسيطر على الحس

ويدبره على عكس السوفسطائيين الذين يذهبون الى ان الطبيعة الانسانية شهوة وهوى وان القوانين وضعها المشرعون لقهر الطبيعة وانها متغيرة بتغير الظروف فهي نسبية غير واجبة الاحترام ، كما يؤمن سقراط بان القوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتها الالهة في قلوب البشر فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الالهي ، وقد يحتال البعض في مخالفتها بحيث لا يناله اذى من هذه الدنيا ولكنه مأخوذ بالقصاص العادل لا محالة في الحياة الاخرى والانسان يريد الخير دائما ويهرب من الشر بالضرورة ، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو انسان اراده حتما اما الشهواني فرجل جهلة نفسه وخيره ولا يعقل انه يرتكب الشر عمدا وعلى ذلك فالفضيلة علم والرذيلة جهل وهو قول مشهور عن سقراط يدل على مبلغ ايمانه بالعقل وحبه للخير [٢٢] .

فسقراط يعرف الفضيلة بأنها المعرفة فأن العلم هو الذي يحدد قيمة الاشياء وبين ان يكون الخير وكيف يتم تحقيقه فالصحة والجمال والشجاعة والعفة كل هذه لا تكون فضائل ما لم يصاحبها تعقل للخير وتوجيه اليه لذلك كان اساس الفضائل معرفة الخير في وجودها فإذن سقراط يرجع الفضيلة الى المعرفة فالفضيلة هي العلم [٢٣] .

ويعدد بعض الفضائل كالشجاعة والعفة والاعتدال وكل فضيلة من هذه الفضائل اذا لم تصحب بالعقل لم تكن فضيلة لان العقل هو الذي يميز بين الحسن والقبيح والخير والشر وهو يطالب بأن يكون للاخلاق علم يبين حقيقة الفضيلة التي لا تتغير وحتى لا يترك الفضيلة فأنه يؤسسها على معرفة ، ففي مقابل الاخلاق العملية عند السوفسطائيين يضم سقراط اخلاقا نظرية علمية وهي علم يقابل الهام الشعراء والمتنبئين الذين ينتجون اعمالهم عن طريق موهبة طبيعية ، ونوع من الالهام الذي لا يستطيعون له تفسير ، كما اصبح العلم عند سقراط وسيلة لتحقيق الفضيلة وطريقة لتطهير النفس ، كذلك احل سقراط العلم محل معتقدات الاورفية في النفس وطقوسها من اجل الخلاص من الجسد [٢٤] .

وثمة من يرى ان سقراط جبري فيما يحض عمل الخير واستبعاد حرية الاختيار اذ روي عنه انه سئل مرة عن اولئك الذين يعرفون الخير و يجتنبون فعله ، هل يمكن ان يوصفوا بالحكمة والعفة ، ان الناس يتخيرون من بين ما يمكن فعله ما يعرفون ان فيه مصلحة لهم فيأتونه ابتغاء هذه المصلحة ومن اجل هذا كان الذين يفعلون عكس ما يعرفون مجردين من الحكمة وضبط النفس فتمشى سقراط بهذا مع نظريته في التوحيد بين المعرفة والفضيلة ةانتهى الى ان الانسان مجبر على فعل الخير متى عرفه واستبعد بهذا حرية الارادة من مجال الاخلاق [٢٥] .

كان سقراط دائم البحث عن المعرفة وفلسفته متجهة اتجاها كليا الى الانسان فهي اذا اخلاقية تقود الانسان الى الكمال والفضيلة وسمو الفضيلة على الرذيلة فالاخلاق السقراطية مبنية على المعرفة لان الفضيلة تقوم على العلم لذلك يرى سقراط ان فضيلة الشجاعة وهي بعد الفضائل في الظاهر تقوم على العلم فإن اشجع الناس من يعرف ماهية الخطر الذي هو مقبل عليه وما هي الوسائل التي تؤدي الى درء هذا الخطر ، والعدالة هي العلم بما يجب على الانسان نحو الاخرين والقناعة او ضبط النفس هي العلم بما يجب على الانسان نحو نفسه ، ان مرجع الفضيلة العلم والفضائل كلها لا تتحقق بالنسبة الى للفرد الا عن طريق المران عليها فالتربية اذن شيء اساسي في تكوين الفضائل في الانسان [٢٦] ، ولما كانت الفضيلة علما فلا يمكن للانسان ان يعمل الشر وهو يعلم انه شر فالشر يأتي من الجهل وليس من طبع الانسان فالانسان يعمل الشيء ان وجده نافعا مفيدا ويتركه اذا وجده مضرا مؤذيا فيمكن اعتبار الاخلاق السقراطية اخلاقا نفعية اما افلاطون فيرى ان معيار الاخلاق عند سقراط هو السمو الروحي وان الفضيلة خير والرذيلة شر ويجب ان تقاس الاعمال بمقياس الغاية التي تحقق السمو الروحي وهذا تناقض بين من يصور الاخلاق السقراطية مرجعها المنفعة المادية وبين رؤية افلاطون الذي يلزم ان تتجه الاخلاق الى السمو الروحي بصرف النظر عن جلب أي لذة او دفع أي الم وخلاصة الرأي ان سقراط يرى ان الانسان يبحث عن السعادة فإذا عرف ان الفضيلة

هي الطريق الوحيد الذي يوصل الى السعادة فإنه لا يخطئ طريقها ولا يمكن ان يعمل الانسان ما يؤدي الى شقائه وهو عالم بذلك مختار له والاشرار في رأي سقراط لا ذنب لهم الا جهلهم بحقيقة مقاصدهم او جهلهم بتحديد الوسائل التي تؤدي الى الغايات الطيبة وعلاجهم يكون بتصحيح معلوماتهم لا ينون الا الخير ا لاخير انفسهم ولكنهم يجهلون حقيقة هذا الخيراو يجهلون وسائله ، فسقراط يطلب من الفرد ان يكون قنوعا مكتفيا بذاته ولا يكون عبدا لشيء اخر ورغم انه حث الافراد على اخذ حظهم من اللذات على ان تكون معتدلة أي كما فعل هو في حياته من حيث الاستقامة والاعتدال وضبط النفس ، اما نظرته للافراد كمجموعة تعيش تحت ظل قانون ففضيلتها طاعة القوانين كشأنه هو الذي تجرع السم وقضى على حياته دون ان يخرج على قانون مدينته كما انه نادى بأن العمل اساس الفضائل لكل انسان وقد خالف مواطنيه اليونانيين الذين كانوا يحقرون من شأن الاعمال اليدوية فسقراط يفترض النية الطيبة في الانسان وتحول هذه النية عن غايتها بسبب الجهل وهذا رأي يدل على غلو سقراط في التفاؤل لان الانسان يمتزج في طبعه باتجاهي الخير والشر وان اختلفت نسبته من شخص الى اخر ولعل سقراط يتمنى ان يكون كل انسان سقراطا ولكن في الحقيقة الامنية شيء والواقع شيء اخر فليس كل انسان سقراط ، فاعتدال سقراط في حياته كان مضرب الامثال ولا ينفك الناس يذكرون سيطرته على شهوات جده ، فقل ما شرب خمرا واذا شرب لم يستطع احد ان يجاريه في الشراب على ان احداً لم يشاهده مخمورا وكان في امور الحب افلاطونيا مهما اشتدت به اسباب الاغراء ، لانه كان يتبع نزعته العقلية وينصح بعدم التطرف والاندفاع [٢٧] .

ولم يفصل سقراط بين العمل والنظر لانه يعتقد ان العمل يقوم على اساس المعرفة الصحيحة ، فإن المجتمع اذا احسن تنظيمه على المبادئ السقراطية يوضع كل انسان بحيث يقوم بمنفعة ما ، وماهية حياته تقوم في فعل ما هو صالح لادائه ، ان الخير الحقيقي اتصال عمل كل فرد بخير المجموع ليتحقق الخير الاقصى وماهية كل جزء من الاجزاء العلم المنظم ، او حقيقة كل جزء فيه ان كانت تمثل لا محالة في غايته او خير الخاص كان اساس الحقيقة القصوى قائما في غاية الكون وخيره الاقصى واذا كان هذا هو اساس كل حقيقة كانت المعرفة بالتالي صدر كل هداية للحياة الانسانية لان الانسان كجزء وصورة مصغرة للكون لا يسعه ان يحصل على خير كما لا يسعه ان يكون له وجود ليس مستمدا من خير العالم ووجوده ، فقوة الخير - فيما يسرى سقراط – هي التي تهب للموضوعات ما فيها من معرفة يقينية فتجعلها معروفة وتهب لعارفها قوة الادراك هي ما يجب اعتباره ادراك الحقيقة ، ومع ان المعرفة والحقيقة كلتيهما جميلة جدا فمن الصواب ان نحكم ان الخير شيء ممتاز عنها ويفوقهما جمالا [٢٨] .

وفي عالم السياسية ايضا يؤكد سقراط على المعرفة لان الرجل السياسي يجب ان يكون عالما والا فما فائدة القائد الذي يجهل قيادة جيشه لو اجمع الناس على انتخابه ومن الجدير بالملاحظة تأثير سقراط على تلميذه افلاطون الذي نادى بأن يحكم المدن الفاضلة فلاسفة لانهم يعرفون خير الانسان الحقيقي والغاية من الحياة ، ويروي افلاطون كيف كان سقراط في شغل لا ينقطع محاولا ان يضع اكفأ الرجال في مناصب الحكم فكان يسأل اسئلة كثيرة منها ، اذا اردت اصلاح حذائي فمن ذا استخدم من الناس ؟ فيجيب شاب صغير بقوله نستخدم حذاء يا سقراط ، فينتقل سقراط بأسئلة عن مهنة النجارين والنحاسين وغيرهم واخيرا يسأل سقراط سؤال ومن ذا يصلح سفينة الدولة ؟ كما ان سقراط لم يفرق بين الفرد والدولة وجعل الواحد منهما مكملا للاخر او الاصح اعتبر الفرد جزء من الدولة ، كما اهتم سقراط بأمر النفس واتخذ الكلمة التي كتبت على معبد دلفي (اعرف نفسك) شعارا له لان معرفة النفس تؤدي الى معرفة قواها ونزعاتها وميولها وهذا هو موضوع علم النفس ، ومعرفة النفس تؤدي الى معرفة القوانين المنطقية للتفكير الصحيح وهذا هو موضوع المنطق ومعرفة النفس تؤدي الى معرفة طرق سلوكها وفاقا لطبيعتها الخاصة وهذا هو موضوع علم الاخلاق [٢٩] .

وبناء عليه يهتم سقراط بأمر النفس واثبات خلودها فعندما يسأل ، هل تتبدد النفس بعد الموت ؟ يرد قائلا ان الذي يتبدد الجسم فقط لانه كائن حسي ، اما النفس فإنها جوهر عقلي لا

تقبل الانقسام او الفناء فحين يهاجم الموت انسانا وقد يتعرض الجزء الفاني منه للموت وهو الجسد اما الخالد وهو النفس فإنها تنأى عن طريق الموت حيث تبقى خالدة سليمة وعندما يسأل سقراط سؤالا اخر لم كانت النفس بالنسبة للجسم كالنغم بالنسبة للوتر فإذا انقطع الوتر انتهى النغم ، فاذا مات الجسم فهل تنتهي النفس ايضا ؟ يجيب سقراط ان الوتر سابق على النغم وان النغم متولد من الوتر فالوتر سبب وجود النغم بينما حال الجسم بالنسبة للنفس يختلف فالنفس سابقة في الوجود على الجسم وهي التي تؤثر في الجسم بينما النغم يأتي م العزف على الوتر فالوتر سابق للنغم والعزف سبب وجود النغم ، بينما النفس سابقة لوجود الجسم ومؤثرة فيه ، ويأتي سقراط بادلة اخرى منها ان لكل شيء ضداً وهو يتولد من ضده ، فالعدل ينشأ من الجور واليقظة من النوم والنوم من اليقظة ولا بد ان يتولد الموت من الحياة والحياة من الموت والا فقد تخالف الطبيعة قاعدتها المضطردة في جميع الاشياء ، فهناك سبل جديدة تؤدي بنا الى النتيجة بأن الحي يخرج من الميت كما يخرج الميت من الحي سواء بسواء [٣٠] ، ومن الجدير بالذكر انه من الواضح بعد هذا الايجاز ان سقراط هو المقدمة التي لا غنى عنها لدراسة مذهب تلميذه افلاطون .

افلاطون السقراطي :

لا يذكر افلاطون الا ويتراءى من خلاله سقراط ولا يمر سقراط بذهن الا وبصحبته تلميذه وناقل افكاره افلاطون فكما يصح ان نقول افلاطون السقراطي يجوز القول سقراط الافلاطوني فلم يعرف سقراط معرفة واسعة الا من خلال كتابات تلميذه افلاطون ولا نقرأ افلاطون الا ونلمس اثر مبادئ استاذه سقراط ، تكاد المصادر تتفق على ان افلاطون الذي ولد في اثينا عام ٤٢٧ ق . م من اسرة من اشرف الاسر اليونانية وتثقف ثقافة تليق بمنزلة اسرته الارستقراطية وتتلمذ على سقراط وعنده ومن العمر حوالي العشرين عاما واما اسمه افلاطون فمعناه الفصيح او الواسع او عريض الجبهة او صافي الفكر ، وكان حاد الذكاء عميق الفكر حسن الحديث ، وكان محبا للجمال في اسلوبه ولم يكن زاهدا كما لم يكن مسرفا فهو يحب الطعام والشراب والصحبة الحسنة ولم يتزوج افلاطون في حياته لاتجاهه اتجاها كليا الى الفلسفة وانقطاعه لها وكان اسم ابيه ارسطن وهو من اشراف اليونان وحفيد الملوك اما امه فهي من نسل سولون صاحب الشرائع وبدأ يتعلم في اول امره اللغة والادب حتى قيل انه نظم الشعر ولكن لما استمع الى سقراط وهو يذم الشعراء ترك قول الشعر واتجه اتجاها كليا الى استاذه سقراط الذي لزمه حوالي سبعة اعوام وكان ينظر اليه باحترام عميق وكان لسقراط اثرا قويا على فكر افلاطون فقد لازمه منذ شبابه المبكر رغم ان افلاطون لم يذكر تاريخ اتصاله بسقراط بل انه غفل ذكر نفسه حتى في المحاورات ذلك انه لم يذكر نفسه الا مرتين الاولى في محاورة الدفاع يحث سقراط مع بعض اصحابه على قبول دفع الغرامة والثانية في محاورة فيدون حيث يعتذر من عدم حضوره لمرضه ان الفضل في اهتمام افلاطون بالاخلاق يرجع الى سقراط فقد اخذ حيزا كبيرا من دراساته وحتى انها امتزجت في دراساته الطبيعية والسياسية واننا نجد ارسطو يمزج بين رأييهما اذ يقول ان سقراط وافلاطون رأيهما واحد في جميع الاشياء [٣١] .

ولم يكن سقراط استاذ افلاطون الاوحد ، فقد تأثر بكثير ممن سبقوه من مفكري اليونان فأن افلاطون كان يختلف في حداثته الى اقراطيلوس وهو فيلسوف تتلمذ على هدقليطس وكان احد اتباعه وقد اخذ عنه افلاطون فكتب عنه ما روى عن هيراقليطس (٥٤٠ – ٤٧٥ ق.م) ان جميع الاشياء المحسوسة فاسدة وان العلم لا يحيط بها ، كما تأثر افلاطون بفيثاغورس وبارمنيدس وهيراقليطس واستمد من فيثاغورس الاتجاه الديني والايمان بالخلود ولاقول بالحياة الاخرة وكل ما ينطوي على تشبيهه الذي صور فيه ان اهل هذا العالم يعيشون في كهف ولا يشهدون الحقيقة وكذلك احترامه للرياضة وخلطه بين العقل والنظر الصوفي خلطا لا يكاد يفرق فيه احدهما عن الاخر واستمد من بارمنيدس الايمان بأن العلم الواقع ابدي لا يقع في الزمن

وبأن التغيير لا بد ان يكون وهما وعن هيراقليطس استقى المذهب السلبي الذي يقرر ان العالم المحسوس لا دوام فيه لشيء ما ، فإذا جمعنا هذا المذهب الى مذهب بارمنيدس انتهينا الى النتيجة بأن المعرفة لا تستمد من الحواس وانما يكونها العقل وحده وهذا الرأي نفسه لائم النزعة الفيثاغورية كل الملائمة وهذا المزيج من منطق بارمنيدس ومن حديث عن الحياة الاخرة مستمد من فيثاغورس والاورفيين انتج مذهبا وجد انه يرضي العقل والعاطفة الدينية على السواء ، كما اخذ افلاطون عن سقراط اهتمامه بالمسائل الاخلاقية وميله الى البحث عن تعليلات للعالم تكون اقرب الى التعليلات الغائبه الى التعليلات الميكانيكيه فلقد شغلت راسه فكره الخير اكثر مما شغلت رؤوس الفلاسفة السابقين لسقراط ومن العسير الا نغزو هذا الجانب الى تأثير سقراط [٣٢] مهما يكن من تأثر افلاطون بأفكار فلاسفة سابقين الا ان التأثير الاعظم لاستاذه سقراط سواء كان ذلك في اسلوبه او في نمط تفكيره ومن الملاحظ امتزاج شخصية سقراط بشخصية افلاطون حتى ليصعب على المرء ان يفرق بين الرأي هل هو لسقراط حقا نقله افلاطون بأمانة ؟ او ان افلاطون يريد الفكرة وينسبها الى سقراط بعد ان يصوغها بأسلوبه الاخاذ ، لذلك يلاقي بعض الباحثين صعوبة في الحكم على افلاطون هل صور سقراط كما وقع في التاريخ فعلا ام ان افلاطون اتخذ منه لسانا يعبر عن ارائه ؟ ومهما يكن فإن هناك حقيقة لا يمكن اخفاؤها وهي ان افلاطون تأثر بسقراط ولازمه مدة من الزمن وسيطر على تفكيره حتى بعد موته لاسيما من الناحية الاخلاقية ، فالمحاورات التي تعالج الفضائل الاخلاقية والتي كتبها افلاطون في صدر شبابه يظهر فيها اثر سقراط واضحا حتى ان المؤرخين اطلقوا عليها اسم المحاورات السقراطية ، واذا كان الكلام الذي ذكره افلاطون في محاوراته لم يقله سقراط الا انه لابد ان تكون الافكار التي قالها سقراط في محاوراته اثارها افلاطون بأسلوبه لاسيما اذا علمنا ان الفلسفة اليونانية قبل سقراط كانت متجهة الى البحث في اصل الاشياء وجوهرها بينما اتجهت على يد سقراط وافلاطون الى الانسان والى البحث في الماهيات اولا حيث ان الوجود الحقيقي ليس هو الوجود المادي بل الوجود الروحي كما يتبع افلاطون سقراط في التعليم اذ انه امتنع عن اخذ الاجور من جراء التعليم أي كما كان يفعل سقراط من قبله مع العلم انه كانت توجد مدارس تأخذ على التعليم اجرا كالسوفسطائيين [٣٣] .

مصنفاته الاخلاقيه :

تجمع المصادر على ان مؤ لفات افلاطون الفلسفيه قد حفظت كلها وينسب الباحثون اليه مئة وثلاثين تأليفا وهي ليست مؤرخة ولاموضوعة وضعاً تعليميا وانما كانت على شكل محاورات يتميز اسلوبها بانه اسلوب ادبي فلسفي وربما يوجع السبب لان افلاطون نشأ شاعرا يكتب القصص الشعريه ولكن بعد اتصال سقراط مزقها وهو وان غير في الصوره الا انه بقي بالجوهر كما هو من حيث بقي يكتب عن طريق المحاورات فكانه ابدل بكتابة القصص الشعريه روايات فلسفيه يحدد مكانها وزمانها واشخاصها ويبدأ حواره بأسلوب نثري فلسفي رائع ولعل السبب المهم في طريقة كتابته انه اراد ان يقتفي اثر استاذه سقراط فيسجل المحاورات التي كان يتبادل مع خصومه فأراد افلاطون ان يصور سقراط تصويرا حيا كما وقعت له الحوادث محددا مكانها بالاضافة الى اقتناع افلاطون بان المنهج الجدلي هو الذي يكشف الحقيقة ، رتب الاقدمون هذه المصنفات على شكل الحوار او موضوعه ولم تكن حسب ترتيبها الزمني ، انما قسموها الى تسعة اقسام سموها رابوعات لان كل قسم يحتوي على اربعة مصنفات وفي الوقت الحاضر يمكننا ان نقسم محاورات افلاطون حسب ترتيبها الزمني بعد ان اجتهد المحدثون ودرسوا مؤلفاته واستعملوا طرائق النقد الباطن وفحصوا ميزات كل مؤلف من حيث اللغة والاسلوب الادبي والفلسفي فقسموها الى ثلاثة اصناف ووضعوا كل مجموعة مع بعض بالنسبة الى اسلوبها ، فمثلا كتاب القوانين او النواميس كما هو معروف في الكتب العربية وهو اخر ما وضعه افلاطون ووضعوا المحاورات التي تشبهه على انها وضعت في دور الشيخوخة اما في

دور الشباب فالمحاورات غير المشابهة لمحاورات الشيخوخة وفي دور الكهولة المحاورات التي تجمع بين ميزات المجموعتين وان كان هذا الترتيب لا يزال فيه التقديم والتأخير موضوع نقاش عليه يمكن ترتيب المصنفات حسب الموضوعات الى اربعة اقسام :-

اولا : الموضوعات التي تتناول الالهيات .

ثانيا : الموضوعات التي تكلم فيها افلاطون عن الطبيعيات .

ثالثا : ما يتعلق بعلم النفس والاخلاق .

رابعا : الكتب السياسية .

ومما لاشك فيه ان فلسفة افلاطون جميعها تدور حول هذه الموضوعات التي استغرقت محاوراته جميعا ، الا ان المهم في هذا البحث هو المحاورات التي تدور حول المسائل الاخلاقية فإنه تناولها في محاوراته الاولى لانه كان متأثرا في بداية حياته بسقراط الاخلاقي ، ثم انتقل بعدها يطرق المواضيع الاخرى من الهية وطبيعية وسياسية حتى ان محاوراته الاخلاقية سميت بالمحاورات السقراطية ولا يخفى ان فلسفة افلاطون بصورة عامة مطبوعة بالطابع الاخلاقي حتى في محاوراته الاخرى من سياسية وطبيعية ومن اهم المحاورات التي تصدى فيها للمسائل الاخلاقية :

- (خرميدس) في ماهية العفة والفضيلة ولها ثلاث حدود : الاول ، انها الاعتدال في العمل . والثاني ، انها عمل ما هو خاص بالانسان بما هو انسان . والثالث ، انها علم الخير والشر [٣٤]
- (لاخيس) في تعريف الشجاعة .
- (ليزيس) في الصداقة والمودة بين الاصدقاء [٣٥] ومدار البحث في هذه المحاورات الثلاث هو : هل يقال عن الشجاع انه شجاع وعن الضعيف انه ضعيف اذا كانت الشجاعة غير مميزة فيه ولم يكن له بها علم ، أي هل يسوغ اسم الفضيلة على الانسان بدون ان يكون له علم بها وتوجيه الهمة اليها ؟
- (اوطيفرون) وهي في ماهية التقوى ، وانها ليست العبادة بالاعضاء فقط ولا بالقول فقط ولا بالاعمال فقط ولا بالعلم بما يجب دون العمل .
- (بروتاغوراس) في السوفسطائي ما هو وما الفائدة من تعليمه وهل يمكن تعليم السياسة والفضيلة ، وهل الفضيلة وحدة او اكثر ؟ وفي ان من يعلم الخير والشر يعلم عواقبها فلا يفعل الشر اذ ما من احد يريد الشر لنفسه .
- (ايون) تبحث في ماهية الشعر وهل الشعر علم ثابت او هو الهام ؟ وقد توصل الى ان الشاعر الحقيقي كالالة لقوة الهية تنطوي بواسطته ويقصد من وراء ذلك ان الفضيلة تأتي هكذا ايضا .
- (مينون) يعرف فيها الفضيلة ، وتدور المحاورات حول ان الفضيلة علم اذا قلنا انها استعداد طبيعي لا يكتسب بالتدريس فهي لا تقبل التعليم أي انها لا تقبل شيئا جديدا لم يكن له وجود في النفس من قبل ، واذا اجيز لزوم هذا الاستعداد الطبيعي فيمكن القول ان الفضيلة علم فإذا كانت علما فيجب البحث عن ماهية العلم وشروطه وبيان ان العلم ما هو الا تذكر المعارف السابقة التي اكتسبتها النفس في حياة سابقة قبل هبوطها الى هذا العالم ، أي ان النفس عاينتها في الحياة السماوية التي كانت تعيشها وتعلمها .
- (فيلابوس) محاورة في ماهية اللذة وعلاقتها بالاخلاق وان الخير الاعظم للانسان هو الاعتدال والجمال وينتهي فيها الى الحكمة اسمى انواع اللذة .
- (احتجاج سقراط) تدور حول دفاع سقراط في المحكمة عن نفسه اذ اتهم بإفساد الشباب وعدم الاعتقاد بآلهة المدينة وظهر فيها سقراط بمظهر الحكيم الذي لا يخاف اعداءه الذين اتهموه ظلما ولا يخاف الموت لان الموت مرحلة في حياة الانسان ولا يخاف مما بعد الموت لانه سيلتقي بنفوس خيرة وارواح حكيمة سبقته الى العالم الاخر وسوف يسعد بلقائها .

- (اقريطون) وفيها ترى سقراط يحاور اقريطون الذ حبذ له الفرار من سجنه فبين سقراط ان على الفرد ان يحترم قوانين بلاده وبين لتلميذه الا يقابل الشر بالشر فإذا ظلمه اهل مدينته فليس من العدل ان يخرق قوانين المدينة .
- (جورجياس) محاورة في نقد السوفسطائيين تبين لهم ان الفن لا خير فيه اذ لم يفرق بين الخير والشر ولم تكن له اهداف اخلاقية سامية بل ان فيه كل الخطر اذا اقتصر على على اثارة الشهوات فحسب وان الخطيب اذا لم ينتصر للعدل فليس هو من البلاغة في شيء لان البلاغة هدفها العدل ويجب على الخطيب اذن ان يكون على علم بالخير .
- (فيدون) يبرهن فيها على خلود النفس .
- (المأدبة) يبين مذهبه في الحب ويشرح نظريته في الحب الفلسفي او الحب الافلاطوني كما اشتهر بين الناس .
- (القيبيادس) وفيها فكرتان اساسيتان ، الاولى ان ما هو عدل فهو نافع فلا تنافي بين العدالة والمنفعة ، والثانية ان معرفة الذات ليست معرفة الجسم بل معرفة النفس والنفس الانسانية فيها جزء الهي وهو العقل [٣٦] .

الطبيعة والاخلاق :

بالرغم من ان افلاطون تأثر تأثرا كبيرا في بحوثه الاخلاقية بسقراط الا انه لم يكتف كما اكتفى سقراط بنظرية الاخلاق ونظرية المعرفة ، وانما جعل الطبيعيات متصلة بالاخلاق او بعبارة ادق ، ان فلسفة افلاطون وان كانت تنصب اصلا في الوجود كله فان الغرض من وراء تأملاته الفلسفية كان يقوم في (الخير) الذي يدرك بأعتباره اساس الوجود والمعرفة على السواء ، وبهذا تتوحد ماهية الوجود وغايته ، فالوجود الطبيعي ليس غاية في نفسه وانما مجموعة وسائل تهدف الى غاية ، وهذه الغاية لا تكون خيرا حقيقيا الا بمقدار اتصالها بغاية المجموع او خيره الاسمى ، فالانسان كصورة مصغرة للكون لا يسعه ان يصيب خيرا او يكون له وجود الا اذا كان مستمدا من خير العالم ووجوده وذلك ام كل نشاط عقلي يهدف الى تحقيق غاية وكذلك الحال في الانسان كفرد بمقدار حظه من تحقيق غاية يكون حظه من الاسم الذي يطلق عليه ، فالحاكم هو بالضرورة الذي يحقق الخير والرفاهية لشعبه فإن اخطأه التوفيق سلبنا عنه صفة الحاكم .

لقد جعل افلاطون الطبيعه مكمله للاخلاق الانه اثبت وجود الله وصلته بالعالم وعنايته له او لهذا نراه يلزم احترام الدين في مدينته الفاضلة ويرى ان الالحاد نشأ عن مصدرين وهما مادية الفلاسفة الطبيعيين ونسبية السوفسطائيين فالعالم يرأيهم بجميع ما فيه حتى النفوس عبارة عن حركات غير عاقله للعناصر المادية وقد رد سقراط وافلاطون عليهم بأن مرجع كل حركه الى النفس التي تعمل التدبير وتسعى الى غاية العالم مليء بالانفس والنفس خيره بالطبع وتستمد النفوس ما فيها من خير من النفس الكاملة الخير اما السوفسطائين فيعدون الانسان مقياس الاشياء جميعا وينكرون الحقائق المطلقة ويذهبون الى ان الدين والاخلاق ثمرة العرف ويزعمون ان القوه فوق الحق وان الفن والقانون لا يعتمدان على اصل في الطبيعة وهذا سبب فساد المدن والاسر وبالتالي فهو اصل الالحاد.

ان الفلاسفه قبل افلاطون بثوا الله في جميع الاشياء فقد أكد طاليس ان كل شيء محلوء بالاله ورأى هيرافليطس ان الله اب كل شيء والواحد عند بارمنيدس هو الله وهو العالم وجميع هؤلاء الفلاسفة الّهوا العالم وعدوا العناصر المادية الهية لانها خالدة ، ولكن موقف افلاطون يختلف عنهم اذ جعل الله اسمى من العالم وجعل العالم على صورة الاله ، فالعالم الهي ولكنه ليس الها [٣٧] وهو بهذا يرتفع بالماهيات عن الوجود الحسي ، فالعالم عنده مركب من هيولى وصورة ، لكن الصورة عنده مفارقة للهيولى .

يعرض افلاطون لفكرة تكوين العالم حيث يرد على القائلين بان الطبيعة حاصلة في ذاتها على علة وجودها وبالتالي فانه لا مدبر لها ولا عقل يحل فيها وان كل ما يحدث في الطبيعة انما

هو من اثر الصدفة البحتة وحركات العناصر المادية بدون تدخل العقل او الصانع الالهي ، فيرد افلاطون على هؤلاء مؤكدا ضرورة القول بصانع الهي حاصل في ذاته على العلم والتأمل ، ففي البدء كان الصانع فصنع من كتلة العالم – وكانت فوضى – فبث فيها النظام وهو اجمل ما في العالم – النفس الكلية ومن النفس الكلية صنع العناصر الاربعة : الماء والهواء والنار والتراب ، ومن هذه العناصر الاربعة صنع الانسان وبقية الاحياء وانه اتم تنظيم العالم في حقبة سابقة على الزمان وانه خلق الكواكب عن طريق النفس الاولى من اجل ان تكون حاسبة للزمان وانه يرى ان الزمان هو حركة السماء ، وان الحركة هي اختلاف وتغيير في العنصر [٣٨] .

وقد اثبت افلاطون وجود الله واتى بدليلين : نظام الكون وحركته ، اما نظام الكون فان هذا العالم يمتاز بنظام دقيق في سيره وهندسته ولا بد من منظم عظيم نظم هذا الكون العجيب وليس هذا المنظم غير الله ، اما حركة الكون فإنها سبعة ، حركة دائرية ومن خلف الى امام ومن امام الى خلف ومن يمين الى يسار ومن يسار الى يمين ومن اعلى الى اسفل ومن اسفل الى اعلى وحركة العالم دائرية منظمة لا يستطيعها العالم بذاته فهي معلومة لعلة عاقلة وهذه العلة هي الله ، الله موجود وانكاره جريمة يعاقب عليها القانون ، كما انه اول الاشياء ولو لم يكن هو الاول لما ابدع العالم ، فابداعه للعالم دليل على قدمه وسبب ابداعه للعالم وتنظيمه له انه اراد ان ينعم عليه بفضله وخيره ولا تكتسب الفضيلة الا اذا جعلنا الله غايتنا التي ننشدها ونتوق اليها ، لان الله يرى الكل وان كنا لا ندرك ذلك السبب جهلنا بالخير الذي يفيض به الله على العالم او ربما تعمينا مصالحنا عن خير المجموع فإذا جاز لنا التشبيه بالقول ان الله في نعمته على الكل والجزء كالطبيب الذي يهمه الانسان ككل رغم انه يهتم بالجزء ، ولهذا اذا اصابنا مصاب فلا نحزن ونشعر بان الله يريد بنا الشر لاننا لو ادركنا انسجام العالم ككل تبين لنا ان كل ما يحدث لنا هو خير ورعاية ، يرى افلاطون ان البارئ الاول هو علة الانيات العقلية الدائمة والانيات الحسية الدائرة وهو الخير المحض والخير لا يليق بشيء من الاشياء كما يليق به وكل ما كان في العالم الاعلى والعالم الاسفل من خير فليس ذلك من طباعها ولا من طباع الانيات العقلية ولا من طباع الانيات الحسية الدائرة لكنها من تلك الطبيعة العالية ، وكل طبيعة عقلية وحسية منها بادئة وان الخير انما ينبعث من الباري في العالمين لانه مبدع الاشياء ومنه تبعث الحياة والنفوس الى هذا العالم وانما يتمسك هذا العالم بتلك الحياة والنفوس التي صارت من العلو في هذا العالم وهي التي تزين هذا العالم لكي لا يتفرق ويفسد [٣٩] .

يوحينا أفلاطون كثيرا بوجوب الاقتداء بالله أو بالاحرى ان نتشبه به لانه مثال الخير الذي لا يصدر عنه شر وانه مقياس الاشياء وليس الانسان كما يقول السوفسطائيون ، فمرجع الفضيلة عند الانسان ان يتجه بكليته إلى الله ، كما ان أفلاطون يشبه الله بالنسبة لعالم العقل بالشمس لعالم الحس وكما ان الشمس تضيء الكون امام الحس كذلك الله يضيء الطريق امام العقل برؤية المعقولات ثم يحاول أفلاطون ان يوضح الفرق بين الرؤية العقلية الواضحة وبين رؤية الادراك الحسي المشوشة بمثال يسوقه من حاسة البصر فهو يرى ان البصر يختلف عن سائر الحواس في انه لا تكفيه العين والموضوع المرئي وحدهما بل لا بد له من الضوء ايضا فنحن نرى الاشياء التي تسطع عليها الشمس رؤية واضحة ، فأما ساعة الغروب فتضطرب الرؤيا ، وفي الظلام الحالك لا نرى شيئا على الاطلاق فعالم المثل هو ما نراه حين تكون الشمس ساطعة بضوئها على المرئيات اما عالم الاشياء العابرة فعالم مضطرب كالذي نراه ساعة الغروب ، فالعين هنا شبيهة بالروح والشمس باعتبارها مصدر الضوء شبيهة بالحقيقة أو الخير ، أي ان الروح مثل العين اذا استقرت على ذلك الذي تضيئه الحقيقة والوجود ادركت وفهمت وفاضت ذكاء اما اذا استجارت إلى بغروب الصيرورة والفناء فعندئذ لا تحصل إلا على اراء فقط ثم تراها تتخبط خبط عشواء تعتنق هذا الرأي حينا وذلك الرأي حينا اخر وتبدو خالية من الذكاء ، ان ما يخلع على ما نعرفه وما يخلع هو العرفان على الشخص العارف وهو ما يسمى مثال الخير الذي هو اصل العالم [٤٠] .

الخـاتمة :

يحتل أفلاطون أهمية عظمى في تاريخ الفكر الفلسفي بدون منازع فهو فيلسوف ترك بصمة كبيرة وواضحة اذ ناقش العديد من المواضيع المتنوعة وكان حاد الذكاء وعميق الفكر حسن الحديث محبا للجمال والادب الامر الذي انعكس في اسلوب كتاباته وقد انصب اهتمامه الشديد على الاخلاق ويرجع الفضل في ذلك إلى استاذه سقراط فقد اخذت الاخلاق حيزا كبيرا من دراساته وكتاباته وحتى انها امتزجت في دراسته الطبيعية والسياسية والفنية والادبية بناءا عليه يمكن عد أفلاطون مؤسس علم الاخلاق الذي لا يزال مجاله موضوع خلاف بين الباحثين لان طبيعته وعلاقاته بغيره من العلوم من الخلاف بين العلماء في شتى المدارس وهذا لا يقلل من أهمية هذا العلم الذي يضع المثل العليا للسلوك الانساني ويضع القواعد التي تحدد استقامة الافعال الانسانية وصوابها ويدرس الخير الاقصى باعتباره غاية الانسان القصوى وهي غاية انسانية خالصة تكمل صاحبها وتزيد من انسانيته من هنا قبل ان علم الاخلاق يضع القوانين التي ينبغي ان يسير بمقتضاها السلوك الانساني .

المصـادر :

(١) الحفني ، د . عبد المنعم ، الموسوعة الفلسفية ،مطبعة مدبولي ، ط١ ، القاهرة ، ص ٥٢ .
(٢) الحفني ، الموسوعة الفلسفية ، ص ٥٣ .
(٣) الحفني ، الموسوعة الفلسفية ، ص ٥٣ .
(٤) الحفني ، الموسوعة الفلسفية ، ص ٥٤ .
(٥) الحفني ، الموسوعة الفلسفية ، ص ٥٥ .
(٦) الجمال ، د . احمد عبد القادر ، مقدمة في اصول النظم الاجتماعية والسياسية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢٥ .
(٧) الجمال ، د . احمد عبد القادر ، اصول النظم الاجتماعية والسياسية ، ص ٢٣٠ .
(٨) بدوي ، د . عبد الرحمن ، الاخلاق النظرية ، وكالة المطبوعات ط١ ، الكويت ١٩٧٥ ، ص ٧ .
(٩) الحفني ، الموسوعة الفلسفية ، ص ٣٠ .
(١٠) الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح ، دار الرسالة ، ط١ ، الكويت ١٩٨٣ ، ص ٣٨٤ ، مادة ضمر .
(١١) بدوي ، د . عبد الرحمن ، الاخلاق النظرية ، ص ٥٦ .
(١٢) بدوي ، د . عبد الرحمن ، الاخلاق النظرية ص ٦٢ .
(١٣) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٥ .
(١٤) عبد الرحمن بدوي ، ربيع الفكر اليوناني ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٩٢.
(١٥) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٨ .
(١٦) رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط١، القاهرة ، ١٩٥٤ ص ٢٢١ .
(١٧) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٤٧ .
(١٨) ابو ذكرى ، مباحث ونظريات في علم الاخلاق ، ص ١٣ .
(١٩) سانتلانا ، تاريخ المذاهب الفلسفية ، تصوير عن مخطوطة بكلية الاداب جامعة القاهرة ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

(٢٠) الطويل ، توفيق ، الفلسفة الخلقية ، مطبعة المعارف ط ١ ، الاسكندرية ١٩٦٠ ص ١٢ .
(٢١) ارسطو ، في النفس ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١١٣ .
(٢٢) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٥٣ .
(٢٣) النشار ، د . علي سامي ، نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان ، مطبعة المعارف ، ط١ ، الاسكندرية ١٩٦٤ ، ص ٢٥٤ .
(٢٤) مطر ، د . اميرة حلمي ، الفلسفة عند اليونان ، مطبعة الشعب ، ط١ ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٠٤ .
(٢٥) الطويل ، توفيق ، الفلسفة الخلقية ، ص ٨ .
(٢٦) بدوي ، د . عبد الرحمن ، افلاطون ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٤٤ .
(٢٧) النشار ، د . علي سامي ، نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان ، ص ٢٥٤
(٢٨) افلاطون ، الجمهورية ، ترجمة حنا خباز ، مكتبة النهضة ، ط٢ بغداد ١٩٨٦ ، ص ١٩٨
(٢٩) الفاخوري ، حنا ، تاريخ الفلسفة العربية ، دار المعارف ، ط١ ، بيروت ١٩٥٧ ، ج١ ، ص ٦٤ .
(٣٠) ارسطو ، في النفس ، ص ١٠٤ .
(٣١) رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ، ص ١٧٧ .
(٣٢) التكريتي ، د . ناجي ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية ... ، ص ٣١ .
(٣٣) يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص ٦٥ .
(٣٤) رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية، ص١٥٦ .
(٣٥) التكريتي ، د . ناجي ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية ... ، ص ٣٧ .
(٣٦) أفلاطون الطيماوس واكريتيس ، ترجمة الاب فؤاد جرجي بربارة ، تحقيق وتقديم البيرريفو ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي ، ط١، دمشق ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٢ .
(٣٧) أفلاطون الطيماوس ، ص ٢١٥ ، ٢٢١ .
(٣٨) أفلاطون الطيماوس ، ص ٢١١ .
(٣٩) رسل ، تاريخ الفلسفة الغربية ، ص ٢٠٦